ثانيا: يخضع الكائن الانساني منذ لحظة التكوين حتى الوفاة للتغير المستمر فهو ليس في حالة استاتيكية ساكنة، و لكنه ينمو خلال المراحل المتعاقبة التي يمر بها من عدة نواحي، بما يحدد الخصائص التي تميزه كشخصية متفردة، و لا تقف التغيرات تلك عند حد معين بل تستمر و ان كانت بمعدل أقل سرعة حتى التدهور الذي يميز مرحلة الشيخوخة.

1- مفهوم النمو الانساني :

النمو عبارة عن سلسلة من التغيرات المتتابعة التي تتجه نحو اكتمال النضج و هو بذلك لا يحدث بصورة فجائية و إنما على خطوات متلاحقة بانتظام بالانتقال من مراحل أدنى إلى أخرى أرقى من النشاط و الوظيفة، و للنمو مظهران أساسيان:

- النمو التكويني(الجانب التكويني أو المورفولوجي) و يعني نمو الفرد في الحجم و الشكل والوزن .

- النمو الوظيفي(الجانب الوظيفي أو السلوكي) أي نمو الوظائف الجسمية و العقلية والانفعالية والاجتماعية لتساير تطور حياة الفرد و أنماط بيئته.

من تعاريف كذلك أنه تغير تقدمي مطرد يستهدف وصول الفرد إلى مستوى النضج الذي يعني التهيؤ أو الاستعداد الوظيفي لأداء الدور المنوط به، و نشير هنا إلى أن التغير نتاج بينما النمو عملية.

2- قوانين و مباديء النمو: إذا كان النمو عبارة عن عملية تكامل في التغيرات الفيزيولوجية و النفسية تهدف إلى تحسين قدرة الفرد على التحكم في البيئة أو التكيف معها فإنها عملية منظمة تسير وفق أسس و مبادئ يمكن إجمالها فيما يلي:

- النمو كمي و كيفي معا: ولا يمكن فصل هذين الجانبين عن بعضهما كأن : تنمو أعضاء جسم الطفل و في نفس الوقت تنمو الوظائف التي تقوم بها، و ينمو الجهاز الهضمي فتنتقل وظيفته من قبول السوائل فقط إلى هضم الطعام الجامد.

- النمو عملية مطردة و منظمة: فهو يسير باستمرار و تواصل من بداية كل مرحلة نمو غلى نهايتهاو هكذا بتسلسل ، و نظامه يمكننا من توقع كيفية نمو الطفل بناءا على ملاحظة نمو غيره أمامه أي أنه يحدث بشكل نظامي نموذجي.

- النمو عملية متكاملة: أي أن مظاهره مرتبطة ببعضها البعض مثل: ارتباط النمو اللغوي بالحركي، النقص الظاهر في الطول أو السمنة المفرطة تؤدي إلى الخجل و الانعزال(النمو الاجتماعي).

- يتجه النمو من العام إلى الخاص بأن تبدأ سلوكات الطفل واستجاباته من النشاط الاجمالي إلى أن تصبح أكثر تركيبا و تخصصا إذ تزداد و تقوى مثلا سيطرة الطفل على الذراعين في حين تتأخر سيطرته على أصابعه، و يتجه النمو من الرأس نحو الجذع ثم القدمين من حيث التسارع.

- يخضع النمو لعامل الفروق الفردية: فكل طفل ينمو بطريقته الخاصة ذلك رغم أن جميع الأطفال يمرون بنفس المراحل النمائية في تسلسلها، و قد لوحظ بأن اتجاه الفروق الفردية الذي سُجل عند الميلاد يميل إلى أن يظل ثابتا خلال مراحل الطفولة، كأن يبقى الأطفال الذين يتصفون بطول القامة في مرحلة مبكرة مقارنة مع أقرانهم فيها بنفس الخاصية في المراحل التي تليها .

هذا و إن سرعة النمو تختلف باختلاف الأفراد و يرتبط ذلك إلى حد ما بالعامل الوراثي وخصائص البيئة (طريقة المعاملة، الإمكانيات...) كما هو الحال بالنسبة لظاهرة التسنين والمشي حتى الكلام.

- يختلف معدل النمو باختلاف مظاهره على أساس تقديم الأهم فالمهم(سبحان الله) أي أنها مسألة أولوية فمثلا تتأخر الأجهزة التناسلية في النمو بكثير عن نمو الأمعاء والمخ والجهاز العصبي ، ذلك لأن الفرد منذ الميلاد يكون بحاجة إلى خدمات معظم أعضاء الجسم غلا القليل كالأعضاء التناسلية.

- لكل عملية نمائية فترة حرجة: معنى ذلك أن هناك فترات نمو معينة في حياة الطفل يكون فيها أكثر استعدادا للاستفادة من آثار البيئة واستغلالها إلى أقصى مستوى لتعلم مهارات بعينها، ويأتي ذلك بنتائج إيجابية، أما إذا بدا التعلم في وقت مبكر للغاية أو يتأخر عن الفترة الحرجة للمهارة يكون غير مجدٍ وقد يأتي بنتائج ضارة.

مثل: تعلم مهارة الحبو في حوالي الشهر الخامس / بدء المشي بعد إنهاء العام الأول / ضبط الإخراج في النصف الثاني من العام الثاني.

هذه المهارات تسمى كذلك المهمات النمائية أو مطالب النمو، وقد حددتها Havighurst في قائمة خاصة لكل مرحلة نمائية، وتحدث عنها كذلك Erick Erickson من الناحية الاجتماعية.

- معدل النمو ونمطه يتأثران بالظروف الداخلية والخارجية، ونوضح ذلك في العنصر الموالي.

3- شروط النمو:

إن النمو مشروط بالمحددات الداخلية والمؤثرات الخارجية، تشمل الأولى كل الأمور التي تجعل منا أعضاء في الجنس البشري كالوراثة، البنية الجسمية، القدرات والامكانات، مثل الاستعدادات الكامنة، وهذه الشروط الداخلية لا تظهر ولا تتحقق إلا من خلال تحريك واستثارة المؤثرات الخارجية(البيئية، الاجتماعية، الثقافية).

إذا فكل تلك القدرات أو الإمكانات الكامنة قد تظهر أو لا تظهر أو تتحقق بمستوى أو بآخر وفقا لعوامل استثارة النمو التي يوفرها الوسط الذي يعيش فيه الطفل.

فالحديث عن الوراثة يمكن اختزاله في الجينات التي تحمل نوعا من الرسائل يجعل من الفرد انسانا وليس كائنا آخر، والنوع الثاني يجعل منه فردا متميزا عن غيره من الافراد.

أما بالنسبة للعوامل البيئية فيتضمن الحديث عنها البيئة الداخلية(الرحم) و بيئة ما بعد الولادة أو الخارجية بما فيها البيئة الطبيعية (الامكانيات الغذائية، الجغرافية كالحرارة،...) والاجتماعية (القيم والعادات مثلا) والنفسية (الضغط والتسامح، التسيب والانضباط)والثقافية اما الحديث عن تأثير كل من الوراثة و البيئة على النمو فيقودنا إلى القول و كما يرى المختصون ان هناك علاقة تفاعل وظيفية متبادلة بين الاستعدادات الطبيعية و الامكانات الكامنة في الفرد المهيأة للاستجابة الخارجية والداخلية من ناحية ، وما يباشره الوسط الخارجي البيئي من مؤثرات متعددة حتى يستثيرها من مكامنها، وتعمل على توظيفها في الحياة.